دلالات الأداء في الصور الحركية الجسمية
دراسة في النص القرآني في ضوء نظرية الاتصال

د. عبدالكريم محمد قاسم القعطبي

أستاذ اللسانيات المساعد – كلية الآداب – جامعة إب

Abstract

Nowadays, communication and its different means are very important. It has been witnessing huge developments along with its different resources: readable, audio and visual. Verbal language per se may not deliver the knowledge properly, but rather it needs visual communication. The latter can deliver the feelings and emotions, enriching this knowledge and making it more meaningful. Nonverbal signs are important in human communication and in affecting the others more. This makes communicationists, communists and educationists pay much attention to this topic.

In the same line, we find that the Holly Qur'an, as a book of da'wah, preaching and legislation has used different means to convince humans, preventing them from doing bad things. One of these means is the nonverbal signs used in the Holly Qur'an, having various significances. Consider, for example, the following two Ayaat:

1."At length she brought him (baby) to her people, carrying him (in her arms). They said: "O Mary! truly an amazing thing hast thou brought! O sister of Aaron! Thy father was not a man of evil, nor thy mother a woman unchaste" (Mary, 27-29)

2." He said: my Lord! appoint unto me a sign. Allah said: thy sign is that thou shalt not speak unto mankind for three days save by beckoning; and remember thy Lord much and hallow Him in the evening and morning" (Al Emran, 41).

The use of sign in the first Ayah and the symbol in the second one represents a call for using nonverbal signs and gestures to enrich our communication with others. This also indicates that even the Holly Qur'an uses nonverbal signs as a device for convincing people. This is so clear that the Holly Qur'an is full of such uses, covering a wide range of universe phenomena.

The researcher comes up with some results the important of which are:

1. Analyzing the basic types of moto-behaviors and their relation to verbal-behaviors in producing the significance of the written text, like the Qur'an text under investigation and their strong effects in producing the visual significance.

2. The moto-behaviors play an important role in producing meaning indirectly, which suits the artistic and aesthetic nature of the written texts, giving some consequences to moto-behavior theory in particular and communication theory in general.

مجلة القلم
(علميّة – فصليّة – محكّمة)
الرقم الدولي
(ISSN 2410-5228)
تصدر عن جامعة القلم
للعلوم الإنسانية والتطبيقية
مدينة إب
الجمهورية اليمنية

www.alkalm.net

ملخص البحث:

إن الاتصال ووسائله تعد من أهم سمات العصر الحالي، حيث شهد هذ العصر تطورات هائلة في وسائل الاتصال والتواصل، فتعددت وسائله ما بين المقروء والمسموع والمرئي، فاللغة وحدها لا تكفي لإيصال المعرفة بشكلها الصحيح، وإنما يلزمها تواصل بصري، فهو القادر على إيصال العواطف والانفعالات التي تغني هذه المعرفة وتجعلها ذات معنى أكبر. فحركات الجسم التواصلية (لغة الجسم) ذات أهمية في التواصل البشري وفي إيجاد تأثير عميق في الآخرين، مما حدا بعلماء الاتصال بشكل عام وعلماء الاجتماع والتربية بوجه خاص، إلى زيادة اهتمامهم بهذا الموضوع.

وفي السياق ذاته نجد أن القرآن الكريم باعتباره كتاب دعوة وإرشاد وتعليم وتوجيه فقد استخدم أساليب شتى، ووسائل مختلفة لإقناع الإنسان، وصده عن غية ورده إلى هذا الدين رداً جميلاً.

من هذه الوسائل الإشارات غير الشفوية التي نجدها مبثوثه هنا وهناك في آي القرآن الكريم في أساليبه الخبرية أو الإنشائية. ما من شك في أن هذه الإشارات تحمل في طياتها دلالات محددة.

ولعل من أهم هذه الإشارات القرآنية التي فتحت أعيننا على هذا الموضوع قول الله تعالى: ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ (مريم: ٢٧-٢٩).

وقوله تعالى:﴿قال رب اجعل لي آية قال أيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار﴾(آل عمران:٤١).

فاستخدام الإشارة في الآية الأولى، والرمز في الآية الثانية، يمثل دعوة إلى استخدام لغة الجسم في الاتصال مع الآخرين.

من هنا انطلقت فكرة الكتابة في موضوع دلالات الصور الحركية الجسمية في النص القرآني (لغة الجسم في القرآن الكريم) للنظر في دلالات هذه اللغة، ومدى تأثيرها في الآخرين، فالقرآن الكريم زاخر بما فيه من علوم، وما يحتويه من إشراقات ربانية، فإنه لا توجد ظاهرة في الكون تتعلق بالإنسان إلا وقد تعرض لها القرآن بشكل أو بآخر، وقد توصل الباحث في هذا الموضوع إلى عدد من النتائج أهمها:

١- تحليل السلوكيات الحركية بأنواعها الرئيسية الأربعة إلى ضرورة تأمل علاقتها بالسلوكيات الكلامية في إنتاج الدلالة في النص المكتوب كالنص القرآني موضوع الدراسة، وتأمل آثارها المنفردة القوية في إنتاج الدلالة التصويرية بخاصة من ناحية أخرى، مع أخذ الحسبان بالأحوال الشاهدة ووصفها، كتعبيرات الوجه،

وطبقة النظرة، واتجاه الحركة وغيرها، مما يقدم مفاتيح جديدة للفهم والتفسير، إذ تتغير المعاني والدلالات بتغير العضو وشكل الحركة.

٢- مما سبق نستنتج – بوجه عام – أن السلوكيات للصورة الحركية بأنواعها وفروعها المختلفة، قد لعبت دوراً كبيراً في إنتاج المعنى على نحو غير مباشر، مما يناسب الطبيعة الجمالية والفنية للنصوص المكتوبة المحللة. وتستطيع تلك التحليلات والدراسة أن تقدم بعض المعطيات والنتائج ذات الاعتبار لنظرية السلوك الحركية بخاصة، ونظرية الاتصال بوجه عام (يمكن الرجوع إليها في نهاية الدراسة).

المقدمة:

إن عملية التواصل تعتمد –كما نعرف– على أربعة عناصر رئيسية :المتكلم أو المرسل ،المستمع أو المستقبل ،الرسالة أو المضمون الذي يرسله المتكلم ويستقبله المستمع ،القناة أو الوسيلة التي تحمل الرسالة كما تعتمد على الجانبين السلوكيين اللفظي وغير اللفظي ،يتمثل الأول في الكلمات المسموعة وما يصاحبها من التعبير الصوتي ،ويتمثل الثاني في الإشارات المرئية وما يصاحبها من هيئة الجسم .

إن الدارس لعملية التواصل يرى بشكل واضح مدى التلازم الوثيق بين هذين الجانبين ،فالمتكلم إذا نطق متوعداً أو مهدداً ارتفع صوته وأسرع في كلماته ،وقطّب ما بين حاجبيه ،وضم إصبعه السبابة مع الإبهام على شكل دائرة ولوح بيده كلها في الهواء ،وإذا نطق متعجباً أو مندهشاً نغّم كلماته بنبرة الدهشة ،ورفع حاجبيه وضرب كفا بأخرى .

وكما كانت الألفاظ قريبة من الإنسان مألوفة له ،كان أقدر على تعلمها ،ولعل أول ما يسبق إليه من ألفاظ الجسم ،إذا يكتسب الإنسان دلالاتها وهو في سنّ الثانية ،ومنها :العين والأنف واليد وغيرها ،وتنتقل دلالاتها إلى مجازات يتقبلها الإنسان دون معارضة ،فتشيع الدلالة الجديدة ،وترتبط في ذهن الإنسان بتجارب سابقة تساعد على إرساء هذه الدلالة [١].

إن الجسم الإنساني – الذي تضافرت على دراسته علوم كثيرة لكشف أسراره والمحافظة عليه ،وتوسلت به فنون مختلفة للتعبير عن المشاعر والانفعالات المتباينة – يلعب دوراً مهماً في تحقيق التفاعل الاجتماعي الذي يتمثل في التواصل بين أفراد المجتمع ،انظر قوله تعالى : ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ (المنافقون، ٤) ،وقوله تعالى : ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ (محمد، ٣) ،لقد وضحت لنا الآيتيان الكريمتان وسيلتي التخاطب اللتين يستعملها الإنسان للتواصل مع غيره (الإشارات الجسمية والأصوات اللغوية).

وينبغي أن نفرق بين اللغة والتخاطب، فاللغة أصوات يعبر بها الإنسان عن حاجته ،أما التخاطب أو التواصل فيشمل اللغة والحركات والإشارات والرموز ،ويمكن القول أن التخاطب هو علم العلامات (سيمياء)، واللغة فرع من علم السيمياء وفي (دراسة اللغة يكون التركيز منصبًّا عليها باعتبارها أحد أشكال التخاطب بينما يكون الانتباه موجهاً في دراسة التخاطب إلى كل العناصر الداخلة في عملية التخاطب وهي المرسل

"وخصاله" والمستقبل "وخصاله أيضاً" والرسالة والمضمون الذي تحمله والوسيلة التي تكون اللغة فيسمى التخاطب لفظياً ، أو الإشارات والحركات فيسمى التخاطب غير اللفظي ،وأخيراً السياق الذي يحدث فيه التخاطب)[٢] .

ومن الحركات الجسدية ما هو مكتسب بالمحاكاة والتقليد، نحو الحركات التي تعبر عن التموجات النفسية وهي البهجة والحزن والاشمئزاز والخوف والغضب والدهشة ،وهي التي تسمى الانفعالات الستة العالمية ،ومنها ماهو مكتسب كالتحايا العسكرية والغمز بالعين وإشارات الصم[٣] .

ويوصف الاتصال الإنساني – في الجانب الأعظم منه – بأنه عمل متعدد القنوات .وهو يمارس على المستويين : اللفظي وغير اللفظي، بمالكل مستوى منها من أنماط أخرى فرعية . ولاتكتمل نظرية الاتصال إلا بهذين المستويين الرئيسيين معاً، ووضع الاتصال غير اللفظي مع الاتصال اللفظي – في تلك النظرية – لايعني جعله نداً له بقدر مايعني أننا لانتصل بعلامات لغوية فحسب ،بل نتصل بالحركات والإشارات أيضاً . وهي علامات بصرية لاينبغي لنا أن نبخسها حقها فيما تشغله في عملية التخاطب بين أفراد الجماعة الكلامية .

وقد شغل الاتصال بال الباحثين في ميادين معرفية مختلفة ،باعتباره أساس الحضارة والثقافة على الجملة . شغل الاتصال اللغويين ،والسيمائيين ،أشد الناس انشغالاً ببنية الاتصال ووسائطه. ولا تنكر العلوم اللغوية والسيمائية ما قدمته بين يديها العلوم الاجتماعية جميعاً بفروعها المختلفة لاسيما الأنثروبولوجيا والإتنوجرافيا والأثنوميثودولوجيا من مناهج ونظريات فتحت للبحث اللغوي والسيميائي في الاتصال آفاقاً جديدة ،وجعلته أقدر على استكناه الواقعة الاتصالية في حيويتها وفعاليتها التبليغية بين المتخاطبين وكان لابد – والأمر هكذا – أن يمتد النظراللغوي في البحث الذي بين أيدينا إلى الإفادة من معطيات تلك العلوم الاجتماعية إحاطة بمسالك الاتصال المتشبعة ! .

يمكن الإشارة إلى أهم مزايا الاتصال عن طريق أهمية لغة الجسم في عملية التواصل في النقاط الآتية:

أولاً: أنه يعبر عن معلومات (وجدانية) في مقابل تعبير لغة الجسم عن معلومات تتصل بالمضمون، يمكن من خلالها إيصال الحب والبغض والكرة والاهتمام والثقة والرغبة والدهشة والموافقة.

ثانياً: أن الاتصال عن طريق لغة الجسم ينطوي أيضاً على معلومات متصلة بمضمون الرسالة اللفظية، فهو يمدنا بأدوات لتفسير الكلمات التي نسمعها، وينطبق ذلك على نبرة الصوت مثلاً والتوكيد، فضلاً عن أنه يوفر المعلومات التي تفيد في فهم طبيعة العلاقة بين الأطراف المشتركة في عملية الاتصال.

ثالثاً: رسائل لغة الجسم تتميز بصدقها، ويحتاج الإنسان عادة إلى نماذج كثيرة للسلوك غير اللفظي التي يصدرها الآخرون حتى يثق بهم[٤].

مما تقدم يتضح أن لغة الجسم ذات أهمية كبيرة في عملية التواصل، إذ بها تكتمل العملية التواصلية لما تؤديه من دور فاعل في الإفهام والإيضاح والإفصاح والمصداقية والتأثير. وعلى ذلك يكون هناك مبررات مهمة لاستخدام هذه اللغة، ويمكن حصرها في خمسة تبريرات هي:

١- إن الرموز غير اللفظية أكثر قوة لأن إدراكها يتم مباشرة، وتكون الاستجابات غير اللفظية أكثر فورية.

٢- يصعب التحكم في الرموز غير اللفظية، لذا غالباً ما تكون عفوية، مما يكسبها مصداقية أكثر من الرموز اللفظية.

٣- يتسبب تركيز الانتباه في بعض الرموز اللفظية أو جعلها أكثر صراحة، في قدر من الإزعاج والإخلال بالنظام، لذا تتم الاستعاضة عنها بالرموز غير اللفظية في إيصال المضمون بكيفية ضمنية.

٤- تعتبر القدرة على استخدام قناة ثانية إلى جانب اللغة أمراً مفيداً، خاصة إذا كانت هذه القناة تحمل قدراً كبيراً من المعلومات التي تدعم اللغة، لكن التعبير عنها بالرموز اللفظية أمر مربك وغير ملائم.

٥- نقص الترميز اللفظي في بعض المجالات: فمثلاً هناك كلمات قليلة تجسد الأشكال الهندسية! لذلك فإن إيماءات اليدين أكثر فعالية في تجسيد الأشكال من الكلمات.

لغة الجسم بين المفهوم القرآني والمفهوم العصري:

تتمثل لغة الجسم جانب الاتصال الصامت، أو الاتصال غير اللفظي الذي قد يتم بصورة منفصلة عن الكلام أو بصورة مصاحبة له.

إن الباحث في هذا الفن يجد التقارب والاتفاق بين المنظور القرآني والمنظور العصري في الكلام عن دلالات لغة الجسم، وتجد الباحثين في كلا الاتجاهين يبحثون وينقبون للوصل إلى مدلولات الحركات الجسمية سواء أكانت مستقلة في الهيئة أم مرافقة للغة المنطوقة. فترى العلماء الذين تكلموا في لغة الجسد من منظور قرآني يؤكدون على أهمية لغة الجسم في التواصل الإنساني، وتوصيل المعلومات القرآنية للسامع، ويؤكدون على أن القرآن الكريم ورد فيه ما نسبته ٧٢% من الآيات التي تضمنت الاتصال غير اللفظي والذي من جملته لغة الجسم. ولا شك أن هذه النسبة تبين مدى تواجد الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، مما يعطينا الحق في الزعم بأهمية الاتصال غير اللفظي.

أما العلماء الذين تكلموا عن لغة الجسم في الحياة اليومية. فما زالوا يؤكدون على أهميتها في التواصل الإنساني.

يقول الدكتور نضال أبو عياش (وقدرت أبحاث أنجزها المركز القومي المصري للبحوث الاجتماعية، أن تأثير الكلمة في الحوار يساوي نحو ٧% وأن نبرة الصوت لها تأثير يساوي ٣٨%، بينما تصل نسبة تأثير الحركات والإشارات إلى ٥٥%[٥].

الفرق بين الجسد والجسم في القرآن الكريم:

الجسم والجسد كلمتان متقاربتان في الحروف وفي المعنى، والمتدبر لكتاب الله يجد أن القرآن يفرق بين هاتين الكلمتين تفرقة بالغة الدقة.. فلكل منهما معنى يغاير معنى الآخر فهما ليس مترادفتين كما يرى البعض، فالجسم يطلق بحسب السياق القرآني على البدن الذي فيه حياة وروح وحركة.

وأما الجسد فيطلق على التمثال الجامد، أو بدن الإنسان بعد وفاته وخروج روحه، وتوضيح ذلك بالآتي:

وردت كلمة الجسم مرتين في القرآن الكريم، قال تعالى عن (طالوت) مبيناً مؤهلاته ليكون ملكاً على بني إسرائيل ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (البقرة:٢٤٧).

وقال تعالى على اهتمام المنافقين بأجسامهم على حساب قلوبهم، واهتمامهم بالصورة والشكل على حساب المعنى والمضمون ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾ (المنافقون: ١٤١).

ونلاحظ من الآيتين أنهما تتحدثان عن الأحياء، فطالوت ملك حي والمنافقون أحياء يتكلمون.

أما كلمة (جسد) فقد وردت أربع مرات في القرآن ووردت مرتين في وصف العجل (التمثال) الذي صنعه (السامري) من الذهب لقوم بني إسرائيل، ودعاهم لعبادته، مستغلاً غيبة سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار﴾ (الأعراب:٤٨).

وقال تعالى: ﴿ فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار، فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع لهم قولا﴾ (طه:٨٨).

وأطلقت كلمة (الجسد) على ابن سيدنا سليمان عليه السلام الذي ولد ميتاً مشوهاً قال تعالى: ﴿ ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾ (ص:٣٤) فالآية هنا تتحدث عن جسد ألقي على كرسي سليمان –عليه السلام– لا روح فيه ميتاً كان أو غير كامل خلقه.

والمرة الرابعة التي وردت فيها كلمة (جسد) في بيان أن الأنبياء كانوا رجالاً أحياء ذوي أجسام متحركة، و لم يكونوا أجساداً هامدة قال تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ (الأنبياء:٨٧)[٦].

من هذا الجسم يطلق على البدن الذي فيه حياة وروح وحركة، والجسد يطلق على التمثال الجامد، أو يدل على إنسان بعد وفاته وخروج روحه.

وعلى ذلك قالوا: "رب إشارة أبلغ من عبارة"[٧].

قال الشاعر: العين تبدي الذي في نفس صاحبه... من العداوة أو ود إذ كانا

أفلا ترى إلى اعتبار بمشاهدة الوجوه، وجعلها دليلاً على ما في النفوس، يقول الجاحظ استخلاص يشبه القانون: (وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان)[٨]، ولقد اتبعت في دراسة هذه الإشارة غير الشفوية الخطوات الآتية:

- استخراج الآيات التي تحتوي إشارات غير شفهية.
- معرفة آراء المفسرين حولها.
- استخراج الدلالات والمعاني التي تحملها.

- عرضها بأسلوب سهل وميسر.
- مصادرنا في ذلك كله النص القرآني.

وهذا يقودنا استقراؤنا النصوص إلى التمييز بين أنواع رئيسية للسلوكيات الحركية (السلوكيات الجسمية) في ضوء نظرية الاتصال هي:

- تعبيرات الوجه.
- تعبيرات العينين.
- الإشارة والحركات الجسمية.
- الهيئات والأوضاع.

وقد نبني هذا التصنيف على أساسين اثنين: أولهما: طبيعة الاتصال بين الوحدات الحركية المتشابه أو المتقاربة، والآخر: الوظائف الاتصالية المشتركة الجامعة بين عناصر كل نوع، والتي تميزه – بعامة – عن وظائف اتصالية أخرى لنوع أخر.

تحاول هذه الدراسة الإجابة على بعض التساؤلات منها:

- هل يمكن الاستفادة من لغة الجسم في إيصال الأفكار للآخرين، وقراءة معاني هذه اللغة في الطرف الثاني للعملية الاتصالية؟
- هل وظف القرآن الكريم لغة الجسم كنموذج للاتصال؟ وما هي أهم الشواهد على ذلك؟
- ما هي أهم دلالات ومعاني لغة الجسم في القرآن الكريم، ومدى تأثير هذه اللغة في الآخرين؟

وإذا كان صنيعنا مع النصوص القرآنية التي استقرأناها أقرب إلى الفحص الأولي منه إلى المسح الكامل، فقد كانت تلك النصوص – فيما أحسب – كافية لبيان أنواع فرعية متنوعة داخل كل نوع رئيس ومزود بمعطيات مهمة لنظرية السلوك الحركي ذاتها.

المطلب الأول: الاتصال بواسطة التعبيرات الوجهية في النص القرآني

يعرف العربي دور الوجه في الاتصال. وتنقل تعبيرات الوجه المختلفة ما يرمي أحد المشاركين إلى توصيله إلى غيره في واقعة اتصالية بعينها: رضاء أو غضب، سرور أو نفور.

إن الوجه هو المرآة التي تعكس ما يختلج في النفس البشرية من أفكار وما يعتري الإنسان من عواطف، فعندما تتأمل في وجه إنسان فإنك تكتشف ما يفكر فيه، كما يتحقق ذلك من خلال تأمل عيون الآخرين. قال عثمان بن عفان –رضي الله عنه–: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه[٩].

وسف نبحث في جنبات كتاب الله تعالى لنصل إلى هذه الآيات، ما تحمله من دلالات ففي القرن الكريم كان الوجه دالا على تلك الحالات المتباينة وهي على النحو الآتي.

١) لطمة الوجه براحة اليد:

لهذه الإيماءة دلالة على الخجل والحياء، أو التعجب والاستغراب، وقد استخدمتها امرأة إبراهيم عليه السلام حينما بشرت بالولد، وهي عجوز عقيم، قال الله تعالى: ﴿ وبشروه بغلام عليم. فأقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ (الذاريات:٢٨-٢٩)، قال الزمخشري.

(قال الحسن: أقبلت إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم، لأنها وجدت حرارة الدم، فلطمت وجهها من الحياء. فصكت: فلطمت ببسط يديها)، وقيل: فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب.

يقول الشاعر نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي:

تقول وصكت وجهها بيمينها ... أبعلى هذا بالرحى المتقاعس

هذه الإيماءات تدل على قطوب الوجه من ضيق الصدر[١٠].

٢) عبوس الوجه:

قد يكون الإنسان عابس الوجه إذا كان حزيناً أو مهموماً أو كئيباً، أو غاضباً، أو مهزوماً، أو مريضاً، وقد يستخدم الإنسان العبوس كوسيلة للرفض والإعراض.

قال تعالى:﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ ، (عبس:١-٢). والأعمى: هو المكي القرشي عبدالله بن أم مكتوم، الذي أعرض عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعبس في وجهه، وتولى نحو نفر من سادات قريش أملاً في أن يسلموا ويكونوا عزاً لدين الله[١١].

٣) الإعراض بالوجه عن الغير:

للإعراض عن الناس إيماءات متقاربة كلها تلتقي عند وجه الإنسان وهي:

أ) الإعراض بالوجه فقط:

يستخدم الإنسان هذه الإيماءة ليشعر من أمامه بأنه لا يرغب في الحديث معه، أو الاستماع إليه، إما تكبراً عليه واحتقارا له، أو استثقالاً له، وقد نهانا الله سبحانه عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ ولا تصعر خدك للناس﴾ (لقمان:١٨) قال الزمخشري: أقبل على الناس بوجهك تواضعاً، ولا تولهم وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون.

ب) الإعراض بالوجه والنأي بالجنب:

إذا لم يرغب الإنسان فيمن أو فيما أمامه أعرض عنه أي: انحرف عنه بجنبه، ولم يباشره بوجهه تعبيراً منه عن رفضه له، وزهده فيه، أو استغنائه عنه، قال الله تعالى: ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ (الإسراء:٨٣)، قال الزمخشري (كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه، ونأى بجانبه: تأكيد للإعراض؛ لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه، والنأي بالجانب: أن يلوي عنه عطفه، ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار، لأن ذلك عادة المستكبرين. إذن من الإيماءات المصاحبة للإعراض بالوجه النأي بالجنب.

ج) الإعراض بالوجه وإدارة الظهر:

الاستدارة بالظهر تومئ إلى الهرب أو الخوف، ونجد هذه الإيماءة في قوله تعالى: ﴿ وأن ألق عصاك فلما رءاها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين﴾ (القصص:٣١)، إذن موسى عليه السلام كان مقبلاً على السحرة وسحرهم بوجهه، فحينما خاف أدار وجهه، وأعطاهم ظهره، ولذلك أمره الله سبحانه وتعالى بأن يرجع إلى هيئته الأولى، ولا يخاف.

د) الإعراض بالوجه والنأي بالجنب وإدارة الظهر:

يستخدم الإنسان هذه الإيماءة ليشعر من أمامه بأنه لا يرغب في الحديث معه، أو الاستماع إليه، وعند إصرار المتحدث إليه، انحرف عنه بجنبه، ولم يباشره بوجهه تعبيراً منه عن رفضه له، وعند إلحاح المتحدث له، يستخدم الإنسان إيماءة أخرى وهي الاستدارة بالظهر تومئ بعدم الرغبة بالاستماع فيلوي عنه عطفه، ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار، لأن ذلك عادة المستكبرين.

قال الله تعالى ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ (التوبة: ٣٥)، فالإنسان الذي يكنز ماله كأنه مستبد بنفسه عندما يأتيه سائل فيوليه عرض وجهه، ثم يحاول السائل مرة أخرى فينأى بالجنب: أن يلوي عنه عطفه، ثم يأتي السائل للمرة الأخيرة يسأله من المال، فيوليه ظهره، وأراد الاستكبار، إذاً دلالة الأماكن التي يكوى بها الإنسان هي الإيماءات التي صاحبة الإعراض للسائل وهي أن يوليه عرض وجهه ويولي عنه عطفه (جنبة) ويوليه ظهره.

ولما كان الوجه أول ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن، استعمل في مستقبل كل شيء وفي اشرفه ومبدئه، فقيل: وجه هذا ووجه النهار.[٩] وبناء على ذلك كانت دواخل الإنسان وأحواله الباطنة أول ما تلحظ على وجهه.

المطلب الثاني: الاتصال بواسطة العينين في النص القرآني

بالنظر إلى لفظ العين نجد أن النص القرآني يعرض لها حالات متنوعة وهي: العين ودلالاتها والبصر ودلالاته.

والنظر ودلالاته ودلالات الهمز واللمز والغمز

١) العين ودلالاتها:

بالنظر على لفظ (العين) في القرآن الكريم، نجد أنه ارتبط بالدلالات الآتية:

أ) العين الباكية:

قال تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (المائدة:٨٣).

فاضت أعينهم بالدمع تعبيراً عن التأثر العميق بالحق الذي سمعوه، والذي لا يجدون له إلا الدمع الغزير من العين الباكية المصدقة، لتعبر عن حالة في النفس البشرية مالا يؤديه القول من صدق.

وقوله تعالى: ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾ (التوبة:٩٢)، وقال تعالى ﴿ وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وأبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (يوسف:٨٤).

نجد في الآية الأولى دلالة البكاء على الحزن العميق لعدم مشاركتهم في الجهاد في سبيل الله، وهذا تعبيراً منهم يفوق أي كلام يقال في هذه المناسبة[١٢].

أما في الآية الثانية من شدة البكاء والحزن أبيضت عينا يعقوب عليه السلام، وهذه دلالة على ما حصل بصورة مؤثرة كونه أراد ألا يظهر ما به من بكاء وحزن، وبيان شدة الإخلاص والصدق، ولهذا تسمى العين الباكية الحزينة المصدقة بإخلاص.

ب) العين المزدرية:

قال تعالى ﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين﴾ (هود:٣١).

الازدراء الاحتقار والانتقاص والعيب[١٣]، فقد دلت نظرات عيون الكفار (من قوم نوح عليه السلام) بحركة معينة على الاحتقار والانتقاص، ولا شك أن نظرات العيون كانت أعمق في التأثير على دلالة الاحتقار، من قولهم : نحن نحتقركم[١٤].

ج) العين الدائرة الخائفة:

قال تعالى ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾ (الأحزاب:١٩).

فدلالته إذن دوران غشيان، مصدره الخوف، لا دوران إحاطة مدركة واعية بالمكان والأشياء. وهذا ما أفاده السياق اللغوي بالتشبيه، للإبانة وكشف الهيئة.

فالمشاهد هو لحاله يرى دوران عينيه فتدلانه على خوف وقلق واضطراب، قد استولى على هذا الشخص، فتكون الصورة أبلغ، والتأثير أعمق من وصف الحال بلا استحضار للصورة الرائعة التي وصفهم الله بها.

د) العين الخائنة:

قال تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ (غافر:١٩)، فدلالة خائنة الأعين هي استراق النظر مع طأطأة الرأس، مما يوحي لمن يشاهد أن هذا الشخص قصده إخفاء محاولته النظر إلى ما لا يريد أن يعلمه من يشاهده أنه ينظر إليه، وهذه حركة جسمية قصدها التستر، والله تعالى عبر بهذه اللفظة بأسلوب عميق مؤثر منفر، حتى يوصل للسامع والمتابع شناعة الفعل فيبتعد عنه.

هـــ) العين الطامحة الراغبة:

قال تعالى: ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم وأخفض جناحك للمؤمنين﴾ (الحجر: ٨٨). أيضاً قوله تعالى: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدينا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (طه: ١٣١).

إن العين لا تمتد، إنما يمتد البصر أي يتوجه، ولكن التعبير التصويري يرسم صورة العين ذاتها ممدودة إلى المتاع، وهي صورة طريفة حين يتصورها المتخيل.

وبالنظر إلى هاتين الآيتين نلحظ الحركة الجسمية المستعملة فيهما، والمنهي عنها، ألا وهي مد العين، ودلالتها الواضحة العميقة هنا، أن لا ينظر الإنسان إلى ما عند غيره متمنياً أن يكون له، حسداً وطمعاً واستخدام هذه الحركة الجسمية فيه بلاغة وإعجاز لإيصال المعلومة لنا بعمق وتأثير، ولننبه عن هذه العادة الذميمة، ونقتنع بما آتانا الله تعالى من عظيم فضلة وجزيل نعمة.

٢) البصر ودلالاته:

الإبصار هو أهم وظيفة للعين، واقترن البصر في القرآن الكريم بصورة حركية جسمية دالة دلالة مخصوصة على النحو الآتي:

أ) الأبصار العفيفة:

قال الله تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ (النور:٣٠)، وقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ (النور:٣١).

في هتين الآيتين نجد أنهما عبرا عن العفة وهو نوع النظرة أو طبقتها، كالإغضاء الذي أمر به المؤمنون في الآية الأولى، وكما أمرت به المؤمنات كما في الآية الثانية، فالإغضاء إذن سلوك بصري مستحسن.

ب) الأبصار المزلقة الكارهة:

قال الله تعالى: ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون﴾ (سورة القلم:٥١).

أي ليصيبونك بأعينهم فيزيلونك عن مقامك الذي جعله الله لك[١٥].

وهذه الآية فيها دلالة على السخط والحقد والحسد، فهؤلاء الكفار من شدة كرههم وحسدهم ينظرون إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– نظرة كارهة ساخطة، لو استطاعوا من خلالها القضاء عليه لفعلوا، ولكن الله عصمه من عيونهم.

ج) الأبصار الزائغة:

قال الله تعالى: ﴿ أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾ (ص:٦٣)، وقال الله تعالى: ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾ (الأحزاب:١٠).

زاغت الأبصار: أي مالت عن مكانها، كما يعرض للإنسان عند الخوف[١٦] وكأنما الزيغ حركة تخرج عن حد الاستقامة.

فقد وصف الله حالتهم بصورة بليغة من زوغان البصر الذي يرافق الخوف الشديد. وهذه الحالة الجسمية تدل على شدة خوف صاحبها بعمق وتأثير أبلغ مما لو قيل: وبلغ بهم الخوف أعلى درجاته.

د) الأبصار الخاشعة الذليلة:

قال الله تعالى: ﴿ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ (القلم:٤٣)، وقوله تعالى: ﴿ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ (المعارج:٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ (القمر:٧).

والخشوع: الضراعة والخضوع والتذلل، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد من القلب[١٧].

وهو هنا – ما تفهم الآيات – خشوع الذلة لاضراعة الإيمان، إذا هذه الحالة الجسمية من الذل والخشوع والخضوع، تصور حالة ذات دلالة واضحة عميقة يعجز اللسان عن وصفها إلا بما وصفها به الله تعالى.

هـــ) الأبصار المتأملة المتفكرة:

قال الله تعالى: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترمى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ (الملك:٣-٤).

البصر مستعمل في حقيقته، والمراد به البصر المصحوب بالتفكر والاعتبار بدلالة الموجودات على موجدها[١٨]. والتأمل بحركة جسمية تدل على التأمل والتفحص للتيقن من أن خلق الله تام، وأنه على كل شيء قدير.

و) الأبصار الشاخصة المندهشة:

قال الله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ (الأنبياء:٩٧).

أي أن أجفانهم لا تطرف، كما يقول الأصفهاني[١٩]. كأنما نزع هول يوم العرض عنها حركاتها المعهودة. في هذه الآية حركة جسمية عميقة التأثير، فهؤلاء الناس عندما يرون علامات القيامة الكبرى قد بدأت تظهر،

وأن الوقت قد أدركهم وأنهم في خسران، وإلى نار جهنم، حيث وعدوا تشخص أبصارهم، ويندهشون، فلا حراك لأجفانهم من هول الموقف، ومن شدة الخوف، وسوء العاقبة. فقد دلت نظرات عيونهم على واقع حالهم.

ي) الأبصار الحائرة المضطربة:

قال الله تعالى: ﴿فإذا برق البصر﴾ (القيامة:٧)، بريق العين هو: اضطرابها من الحيرة وشدة الخوف[٢٠].

في هذه الحركة الجسمية نجد أن الإنسان يوم القيامة يضطرب بصره في عينيه، فلا يستطيع أن يطرف، وذلك لأنه كذب في الدنيا بم يرى أمامه في الآخرة، فهذه الحركة الجسمية الصادرة عن العين دلالاتها عميقة لمن سمعها.

٣) النظر ودلالاته:

اقترن (النظر) في القرآن الكريم بصورة حركية جسمية دالة دلالة مخصوصة على النحو الآتي:

أ) النظر من طرف خفي:

قال الله تعالى: ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾ (الشورى:٤٥).

والنظر الخفي هو النظر المستتر إنه كما يقول أبو عبيدة: نظر لا تفتح معه العين، إنما ينظر ببعضها[٢١].

قال أبو بكر الجزائري: أي يسترقون النظر لا يملأون أعينهم من النظر إلى النار لشدة خوفهم منها[٢٢].

وقال ابن عاشور: (ينظرون نظراً منبعثاً من حركة الجفن الخفية) (وهي نظرة الخائف المفتضح، وهو كناية لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما)[٢٣].

ولعل النظر الخفي يدل أيضاً على استسلام لا مفر منه! فيقوم بهذه الحركة الجسمية الدالة على الذلة والهوان، وبأسلوب بليغ عميق مؤثر، تعطي لمن يشاهد هذا الموقف دلالة واضحة على ذل صاحبها وخوفه، والخزي الذي لحق به جراء تكذيبه وعصيانه.

وقوله تعالى: ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ (الرحمن:٥٦)، والطرف في اللغة تحريك الجفن، وعبر به عن النظر، إذ كان تحريك الجفن لازمة النظر، كما يقول الأصفهاني[٢٤]، ويحسن من المرأة قصر الطرف. وهي قاصرة الطرف إذا كانت لا تمد طرفها إلى مالا يجوز، وهي عبارة عن إغضائهن لعفتهن.

ب) نظر التعجب والاستفهام:

قال الله تعالى:﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾(التوبة،١٢٧) ، فالسياق يدل على صورة الحركة الجسمية لهؤلاء المنافقين الذين يظنون أن حالهم ونفاقهم غير مكشوف لرسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فإذا نزلت سورة فيها ما يفضح أمرهم نظروا إلى بعض بتعجب واستفهام من انكشاف أمرهم، وما علموا أن الله على كل شيء قدير، وهو

المطلع على خائنة عيونهم وما تخفيه صدورهم، ثم اتبعوا نظر التعجب هذا غمزا وإشارات فيها دلالات على الرغبة في الانسحاب والخروج من هذا الموقف، إنقاذا لأنفسهم بعد هذه الفضيحة[٢٥].

ج) نظر القلق والذهول:

قال الله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم﴾ (محمد:٢٠).

أي نظر المتحضر الذي لا يطرف بصره، والمراد تشخص أبصارهم جبناً وهلعا[٢٦].

فهذه صورة للحركة الجسمية الممتدة من العين بفعل النظر، تشخص حالة فريدة الذهول والقلق والخوف، لقوم آمنوا في الظاهر لكن قلوبهم لم تؤمن، فذكر القتال يذهب عقولهم ويؤدي بأبصارهم إلى الشخوص والزوغان والدوران، خوفاً على أرواحهم، لأن الدنيا جنتهم، ويخافون لقاء الله بما قدموا من نفاق وبعد عن دين الله، فما أروع هذا التصوير، وما أعمق تأثيره في نفس السامع!

٤) الهمز واللمز والغمز:

وهي سلوكيات بصرية مرغوب فيها، مستقبحة كالغمزة، فأصل الغمزة الإشارة بالجفن طلباً إلى ما فيه معاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ (المطففين:٢٩-٣٠).

قال ابن منظور: الغمز: الإشارة بالعين والحاجب والجفن[٢٧].

إن الناظر فيما قيل في تفسير هذه الآية يجد حركة مذمومة تعبر عن ضعف فاعلها، وخواء روحه ونفسه، وعن سوء أدبه. فعبر الله تعالى بها دلالة على ما يعتري هؤلاء من الخسة، وعدم الرجولة. فهذا تعبير عميق يعبر عن حالهم. وخسة أسلوبهم في التعامل مع المؤمنين.

وفي القرآن الكريم ما يدل على سلوك يتتبع فيه صاحبه المعاب أيضاً كاللمز والهمز، ولكنهما – فيما يبدوا- يدلان على سلوكيات لفظية، من حيث إن همز الإنسان اغتيابه، ومن حيث أن اللمز الاغتياب وتتبع المعاب[٢٨].

قال ابن عاشور: همزة وصف مشتق من الهمزة: وهو أن يعيب أحد أحداً بالإشارة بالعين وبالشرف أو بالرأس بحضرته أو عند توليه[٢٩].

واللمز: العيب في الوجه وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي[٣٠]، قال تعالى: ﴿ ويل لكل همزة لمزة﴾ (الهمزة:١)، وقال الله تعالى: ﴿ هماز مشاء بنميم﴾ (القلم:١١)، وقال الله تعالى: ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ (التوبة:٥٨).

إن الحركة الجسمية التي جاءت في الآيات السابقة والمعبرة عنها بالهمز واللمز تحمل دلالة العيب على الآخرين، مع وجود إشارات ترافق هذا العيب من خلال استخدام العين والحاجبين، وقد تترافق أيضا مع

حركة للرأس أو الشفتين أو الشدقين وهما طرفا الفم، وهذه الإيماءة تعبر عن خسة في الطبع أو النفاق أو ضعف الإيمان، واستخدامها في القرآن الكريم من الدلائل على البلاغة العميقة في كتاب الله تعالى، وتحمل تأثيراً عميقاً في السامع يكون أكبر من التعبير من خلال الوصف المجرد لهذه الحالة.

المطلب الثالث: الاتصال بواسطة الإشارات والحركات الجسمية في النص القرآني

إن هذا النوع من الاتصال شائع منذ وجود الإنسان على وجه الأرض، وأساسه يقوم على قدرة الإنسان على الحركة والفعل.

ونعني بها حركات الأطراف والأعضاء وأجزاء الجسم المختلفة، وما يهمنا هنا – بالطبع- هو الحركات الاختيارية التي يؤديها الإنسان إزاء موقف أو حدث أو سلوك لفظي.

فقد وردت آيات في كتاب الله تجسد فيها هذا النوع من لغة الجسم، ألا وهو الاتصال بوساطة الإيماءات والإشارات أو حركات الأعضاء وتنقسم هذه الأعضاء إلى أنواع عدة كما يأتي:

أولاً: صور حركات اليد:

١) اليد مع الفم: وهي اليد المغتاظة:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (إبراهيم:٩).

هذا السلوك الحركي المركب إذن علامة مرئية على الإمساك عن الإجابة، وهنا إجابة النعم بشكر.

إن رد اليد إلى الفم، يحمل دلالة الغيظ، حيث إن الكافرين من الأقوام السابقين من شدة حنقهم وغيظهم على رسول الله تعالى عضوا على أيديهم.

إن حركة اليد في الآية القرآنية، تحمل تأثيرا عميقاً يصل إلى شغاف القلوب، بصورة أكبر مما لو كان الوصف لغوياً تعبيرياً لهذه الحالة.

٢) اليد مع اللسان: وهي اليد المتحسرة النادمة:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان:٢٧).

يعبر هذا السلوك الحركي – وتأمل استخدام المثنى يديه في المنطوق عن الندم الشديد أو الحسرة العظيمة على ما فات وما ارتكب من فعل وخيم العاقبة.

والظاهر أن الآية التي بين أيدينا ترسم لنا صورة مجسمة عن حال شخص بلغ به الندم والحسرة مبلغاً عظيماً، بأن يضع يديه في فمه ويعض عليهما، وذلك دلالة على حالته النفسية المتدهورة يوم القيامة، بسبب ندمه الشديد على عدم اتباعه للحق وأهله، وبسبب سيره في طريق الكفر والظلم[٣١].

وقد يكون باعث العض الغيظ، كقوله تعالى: ﴿ هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ .. ﴾ (آل عمران:١١٩).

وهنا نلحظ مواءمة لفظية لطيفة بين باعث العض وهو الغيظ (لا الندم الشديد) وبين الشيء المعضوض وهو الأنامل (وليس اليدين)، ويقول الشوكاني في تفسيرها أي تأسفاً وتحسرا، حيث عجزوا عن الانتقام منكم. والعرب تصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان[٣٢].

إن الحركة الجسمية التي ظهرت في هذه الآية تحمل دلالة الغيظ وعدم القدرة على الفعل من أعداء الله.

٣) اليد مع الوجه: وهي اليد اللاطمة المتعجبة

قال الله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذاريات:٢٩)، قال السيوطي: فصكت : لطمت. وقال ابن منظور: الصك الضرب الشديد[٣٣].

في هذه الآية الكريمة كان صك الوجه علامة تعجب من أمر أن تلد عجوز عقيم. وتكشف الحركة، وهي من السياق غير اللغوي، عن المحذوف لفظاً، أي (أتلد عجوز عقيم؟) وهذا من المواضع الدالة دلالة واضحة على علاقة التأثر والتأثير بين السياق غير اللغوي والسياق اللغوي، أو بين العلامات الحركية والمنطوقات اللفظية، لها من البلاغة العظيمة والتأثير العميق لكل من يسمع، وكأنه يحيا مع الحدث ويعايشه رغم اختلاف الزمان والمكان.

٤) حركة الكف: وفيها:

– **تقليب الكف:** قال الله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (الكهف:٤٢).

حركة تقليب الكف هنا علامة على الندم، وتقليب الكفين كما يقول الرازي (كناية عن الندم والحسرة فإن من عظمت حسرته يصفق إحدى يديه على الأخرى، وقد يمسح إحداهما على الأخرى[٣٤].

– **بسط الكف:** قال الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ (الرعد:١٤).

أي: كالداعي الماء يومئ إليه ليجيبه[٣٥]. نجد هذه الحركة الجسمية (بسط الكف) بليغة مؤثرة، تدل على الطلب من غير سلوك الطريق المؤدية إلى ذلك. كحال الإنسان الذي يدعو مع الله آلهة أخرى، ويرجو من لا يرجى، ويطلب ممن لا يملك عطاءً، كحال من يبسط كفيه داعيا الماء، من غير أن يسلك الوسيلة الناجحة لإيصال الماء إليه.

– **بسط اليد:** قال الله تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة:٢٨). قال الله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ

وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة:١١)، وقال الله تعالى:﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (الممتحنة:٢). جاء بسط اليد في الآيات السابقة للدلالة على البطش والقتل[٣٦].

نجد هذه الآيات يدل بسط اليد على القتل والموت وأخذ الروح والبطش، وكلها تؤدي إلى المعنى نفسه، وهذا المعنى جاء من باب الكناية وهي من باب الحقيقة، وجاء استخدام اليد بالتحديد لأنه بها يكون البطش والقتل على الحقيقة. وحركة اليد التي استخدمت في هذه الآيات تحمل من عمق التأثير في السامع ما يفوق ما قد يحمله الوصف المعنوي لذلك.

٥) جرح اليد بالسكين للدهشة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف:٣١).

لقد أحبت زليخة امرأة العزيز يوسف -عليه السلام-، وانتشر خبر ذلك بين النساء، فأرادت أن تبين لهن بأنها معذورة في حبها، لأن جمال يوسف لا يقاوم، فعزمتهن وأعطتهن سكاكين، وطلبت من يوسف -عليه السلام- أن يخرج عليهن، فما رأينه أبهرن جماله الرائع، وحسنه الفائق فقطعن أيديهن. قال الزمخشري[٣٧]: أعتدت لهن نمارق يتكئن عليها والسكاكين في أيديهن، وقصدت بتلك الهيئة أن يدهشن عند رؤيته، ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها. قال ابن كثير[٣٨]: وجعلن يقطعن أيديهن دهشا برؤيته.

نجد امرأة العزيز بذكائها ودهائها استخدمت الحركة الجسمية لتقول للنساء اللاتي عزمتهن بأنه لا لوم عليها، فيوسف جدير بما فعلت، فهل هناك تصوير يوضح ما حدث لهن من ذهول أدق من هذا الذهول[٣٩]؟

٦) الأصابع ما الأذان:

إن وضع رأس الأصبع في الأذن لكفها عن السماع يحمل دلالتين اثنتين هما: إحداهما: الامتناع عن سماع الأصوات القوية الشديدة المزعجة، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:١٩)، من خلال التعبير عن الأنامل بالأصابع. قال أحمد ابن المثير: (إنهم يبالغون في إدخال أصابعهم في آذانهم فوق العادة المعتادة في ذلك فراواً من شدة الصوت[٤٠].

وهذه الحركة الجسمية والتي تشير إلى دلالة الخوف الشديد من سماع صوت الصواعق تحمل في طياتها عمق التعبير الذي يفوق الوصف المباشر بالخوف.

وأخرهما: الامتناع عن الاستماع لدعوة الحق، وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح:٧). قال الزمخشري: سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة[٤١]. وهو معنى مؤكد بهيئة استغشاء الثياب.

وهذه الحركة لسد مسامعهم، إنما تدل دلالة على العناد والرفض لما جاء به نبي الله نوح –عليه السلام– من الحق، فهم مع هذه الحركة يأتون أيضاً بحركة أخرى، وهي أن يلفوا رؤوسهم بثيابهم مبالغة في رفضهم وعنادهم ولكي لا يروه أو يراهم، وهنا تكمن البلاغة والعمق في التأثير، فكل سامع لهذا الوصف يستقر في نفسه ما يحمل من دلالة، ويفهم الحال الذي كان عليه هؤلاء، بصورة أوضح وأبلغ من الوصف بكلمة الصد أو الرفض.

ثانياً: صور حركات الرأس:

وردت صور حركية للرأس في القرآن الكريم تحمل دلالات منها ما يأتي:

١) طأطأة الرأس:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء:٦٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (السجدة:١٢).

قال الزمخشري نكسته: قلبته، فجعلت أسفله أعلاه، وانتكس: انقلب، أي: استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم، وجاءوا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة، أو قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلاً وانكساراً وانخذالا مما بهتهم به إبراهيم كما في الآية الأولى[٤٢].

والناكس: المطأطئ رأسه. ونكس رأسه، إذا طأطأ من الذل[٤٣].

فلاحظ أن الحركة الجسمية في الآية الأولى جاءت على سبيل الكناية للدلالة على الارتداد عن الرأي الصواب والعودة على الكفر بعد وضوح الحق لهم، وعدم قدرتهم على إثبات صدق معتقدهم.

وأما في الآية الثانية فقد استخدمت الصورة الحركية الجسمية على سبيل الحقيقة لا المجاز، فحال الكفار يوم القيامة عندما تظهر لهم الحقائق الإيمائية واضحة جلية، ويتحقق أمامهم وعد الله يطأطئون رؤوسهم من شدة الخزي والحياء والذل، لأنهم في حالة من الخسران وعدم القدرة على تغيير قدرهم وأن العذاب واقع بهم.

٢) تحريك الرأس:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون:٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (الإسراء:٥١).

ففي الآية الأولى قال ابن منظور: لوى رأسه: (أماله من جانب إلى جانب[٤٤]. وقال الماوردي: أي حركوها، وأعرضوا يمنة ويسرة إلى غير جهة المخاطب ينظرون شزراً)[٤٥].

وإمالة الرأس هنا حركة تعبر عن الصد والاستكبار كما أوضح سياق الآيات اللغوي. ولعل هذه التلوية لا تخلو من استهزاء، إذا هذه الآية تبين حال المنافقين عندما عرض عليهم، لكي يستغفر لهم على ما بدر منهم من

معصية، فردوا بهذه الحركة التي تدل على رفضهم لهذا العرض. وهذه الصورة الحركية من الحركات المتعارف على دلالتها بين الناس.

أما في الآية الثانية قال الفراء: (أنغض رأسه إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل)[٤٦]. وقال الراغب (الانغاض تحريك الرأس نحو الغير كالمتعجب منه، قال فسينغضون إليك رؤوسهم يقال: نغض نغضا إذا حرك رأسه، ونغض أسنانه في ارتجاف)[٤٧].

فهؤلاء القوم الذين كذبوا بالبعث وإعادة الخلق، لم يرق لهم أنهم سيبعثون بعد الموت خلقاً جديداً، فعند سماعهم ذلك لم يستوعبوه، وجاءوا بحركة جسمية، هي هز الرأس وتحريكه ليشككوا بما يسمعون، وليستبعدوا حصول ذلك، ويستهزئوا بالقائل.

اتخذت الحركة فيما سبق سلوكاً اتصالياً خاصاً دالاً على الصد في استهزاء ، أو على الإنكار والاستبعاد: تلوية للرأس أو إنغاضاً، في هذه الهيئة المرئية المقابلة للاتصال اللفظي، بما هي استجابة غير لفظية[٤٨].

وخلاصة ما سبق نقد:

لوي الرأس أي حركه وأعرضه يمنة ويسرة إلى غير جهة المخاطب صورة حركية تحمل دلالة الرفض، وأما إنغاض الرأس فهو هزها، إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل، صورة حركية تحمل دلالة الاستهزاء بالقائل وتكذيبه.

٣) رفع الرأس:

قال الله تعالى: ﴿مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ (إبراهيم:٤٣). أي رافعي رؤوسهم، والمعنى أن المعتاد فيمن يشاهد البلاء أنه يطرق رأسه عنه لكي لا يراه، فبين تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد وأنهم يرفعون رؤوسهم[٤٩].

فهذا الإنسان الظالم بصره يوم القيامة شاخصاً ويمشي بسرعة ورأسه مرفوع وعيناه مفتوحتان لا يستطيع إغلاقهما، بالرغم من أن الحال تتطلب غير ذلك، إلا أن كل ما يحصل معه كان رغما عنه. ولقد جاءت هذه الحالة الجسمية لتبين لنا أنه مجبر على رفع رأسه وفتح عينيه، ليرى ما لا يحب أن يراه، وأنه مسرع إلى مصير لا يشتهيه.

وأيضاً في رفع الرأس قوله تعالى: ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون﴾ (النجم:٥٩). والسامد: اللاهي الرافع رأسه، من قولهم: سمد البعير في سيره[٥٠].

ثالثاً: صورة حركة اللسان:

يتخذ هذا العضو الذي ينتج الاتصال اللفظي بأسره وظيفة أخرى، عندما تتخذ الهيئة الحركية – باعتبار ارتباطه بهذه الوظيفة الأساسية والأهم – تتخذ علامة على التظاهر بالانخراط في اللفظ بالشيء، في الوقت الذي يكون فيه منها التحريف والميل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وإن منهم لفريقاً يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ﴾ (آل عمران: ٧٨).

قال الشوكاني: (أي طائفة من اليهود يلوون، أي يحرفون ويعدلون به عن القصد. وأصل اللي: الميل، يقول: لوي رأسه، إذا أماله... وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ وإن منه لفريقا..﴾ قال: هم اليهود، وكانوا يزيدون في الكتاب ما لم يترل الله)[٥١]، وقال الراغب الأصفهاني: (ولوي لسانه بكذا كناية عن الكذب وتخرص الحديث[٥٢].

رابعاً: صورة حركة العنق:

قال الله تعالى: ﴿ إن نشأ نترل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ (الشعراء:٤)، في هذه الآية دلالة يتخذ العضو حركة جسمية وهي (خضاع العنق للمذلة والقهر).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾ (آل عمران:١٥٣)، قال الشوكاني: ومعنى (تلوون) تعرجون وتقيمون: أي لا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً، فإن المعرج إلى الشيء يلوي إليه عنقه أو عنق دابته (على أحد) أي على أحد ممكن معكم، وقيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥٣]، والعضو الذي صدرت عنه الحركة مفهوم من السياق اللغوي بدلالة الفعل (لوى).

خامساً: صورة حركة الرجل:

قال الله تعالى: ﴿ ولا يضربن بأرجهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (النور:٣١).

إن الحركة الجسمية التي جاءت في هذه الآية تحمل دلالة جلب الانتباه، فقيام المرأة بضرب الأرض لتحريك خلخالها مع صدور صوت من هذا الخلخال فيه تنبيه من هذه المرأة لمن حولها أن انظروا إليَّ، فهي وإن لم تتكلم بلسانها إلا أنها أوصلت مرادها من خلال صوت خلخالها، وهذا الفعل من أفعال الجاهلية التي حرمها الإسلام، لما فيه من خطر وإشاعة للفاحشة وإيقاظ للشهوة لدى الرجال. قال ابن منظور: (كانت المرأة ربما اجتازت وفي رجلها الخلخال وربما كان فيه الجلاجل، فإذا ضربت برجلها على أنها ذات خلخال وزينة، فنهي عنه لما فيه من تحريك الشهوة)[٥٤].

سادساً: صورة حركية لثني الصدر:

قال الله تعالى: ﴿ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ (هود:٤-٥).

أبان المنطوق اللفظي في هذه الآية عن تعبيرية هذا السلوك الحركي (ثني الصدر) فهو عندهم – وسفههم موقور- للاستخفاء من الخالق جل شأنه. ولعل ثني الصدر – باعتبار ارتباطه بالعنق والرأس من جانب وبالجذع من جانب آخر – مما يعرض حركة جسمية أو وصفاً بدنياً كاملاً، تختفي فيه ملامح الشخص الظاهرة والدالة عليه. ولعل هذه الحركة علامة مرئية على سرائر مخفية. قال مجاهد: (يثنون صدورهم)، شك وامتراء في الحق ليستخفوا منه من الله إن استطاعوا[٥٥].

المطلب الرابع: الهيئات والأوضاع الجسمية في النص القرآني

يقصد بالهيئة الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة كانت أو معقولة، لكن في المحسوس أكثر[٥٦]، ويقصد بالوضع هنا الهيئة في حالة تغيرها من صورة إلى صورة مع تغير موضوع الكلام أو حالة الخطاب. ولا شك أن الإبانة عن الهيئة أو الوضع، مما يكسب الواقعة الاتصالية – في النص القرآني – حيوية ودقة استحضار في الخيال.

في النص القرآني مواضع عدة تتعين سلوكيات جسمية تتخذ هيئات وأوضاعاً دالة تعبيرياً منها.

١) هيئة القيام:

قد ورد في النص القرآني آيات عدة جاء فيها القيام حاملا دلالات تناسب الموقف الذي وردت فيه، ومن الأمثلة على ذلك: قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين:٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر:٦٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ (الكهف:١٤)، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ..﴾ (البقرة:٢٧٥).

من خلال الآيات السابقة التي ورد فيها ذكر القيام، يكون في الغالب على الحقيقة، ويقترن مع القيام دلالات مختلفة تتناسب مع سياق الآية، فتارة يترافق معه دلالة القيام من أجل التعبد بشكل معين وتارة يترافق معه دهشة وذهول، وتارة يترافق معه انتظار وترقب لما سيئول إليه حال المعنيين، وتارة يترافق مع القيام جهر بالحق، وتارة يترافق معه عدم الثبات والاستقامة، وجميع الدلالات الواردة تمثل اتصالاً من خلال الصورة الحركية في أوضاع الجسم وهيئته بشكل معبر مختصر بليغ مؤثر، يغني عن الإطالة والشرح، وهنا يكمن الجمال القرآني في استخدام الصورة الحركية للجسم لإيصال المعاني المؤثرة.

٢) هيئة العقود:

قد ورد في النص القرآني آيات عدة جاء فيها القعود ومشتقاتها في إحدى وعشرين آية حاملاً دلالات تناسب الموقف الذي وردت فيه[٥٧] نذكر منها ما يأتي، قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة:٢٤).

في هذا النص حركة ما يدل على الالتصاق بالأرض، وعدم التزحزح، وهذا يدل على دلالة التثاقل عن الخروج للجهاد وتخلف عن مقاتلة الأعداء، وهذا مخالفة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–[٥٨]، والظاهر في الآية أن القعود هيئة جسمية تبين وضعاً للجسم الذي يكون عليه الإنسان، فيحمل دلالة التخلف وعدم القيام بالمجهود.

وقوله تعالى: ﴿ لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾ (الإسراء:٢٢)، قال الرازي (العقود المذكور في قوله: (فتقعد مذموماً خذولاً) فيه وجوه: الأول: أن معناه المكث، أي فتمكث في الناس مذموماً مخذولاً... فإذا سأل الرجل غيره ما يصنع فلان في تلك البلد؟ فيقول المجيب: هو قاعد بأسوأ حال، معناه: المكث، سواء كان قائماً أو جالساً. الثاني: إن من شأن المذموم المخذول أن يقعد نادماً متفكراً على ما فرط منه. الثالث: أن المتمكن من تحصيل الخيرات يسعى في تحصيلها، والسعي إنما يأتي بالقيم، وأما العاجز عن تحصيلها فإنه لا يسعى بل يبقى جالساً قاعداً عن الطلب[٥٩].

إن الظاهر في هذه الآية من خلال ما سبق أن حركة القعود هيئة جسمية تبين وضعا من الجسم الذي يكون عليه الإنسان، يحمل دلالة الذل والخذلان.

٣) هيئة الجنب:

قد ورد في النص القرآني آيات أربع جاء فيها الجنب وحاملا دلالات تناسب الموقف الذي وردت فيه، كقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة:١٦). قال ابن منظور: (اضطجع: نام، وقيل استلقى ووضع جنبة بالأرض)[٦٠].

في هذا النص يرسم صورة المضاجع في الليل تدعو الجنوب إلى الرقود والراحة والتذاذ المنام، ولكن هذه الجنوب لا تستجيب، لأن لها شغلاً عن المضاجع اللينة والرقاد اللذين شغلا بربها. فالحالة الجسمية التي تمثلها الآية تختلف في دلالاتها باختلاف ورودها في الآيات[٦١].

فنجد في هذه الآية تدل على حالة الإنسان الجسمية من تعب أو راحة، وكذلك الآيات الأخرى تدل على حالة الإنسان في أثناء تأديته للعبادة، وعلى العموم يمكن أن نقول: إن حالة الجنب تمثل هيئة جسمية معبرة عما يخدم الإنسان في حياته.

٤) هيئة المشية:

للإنسان مشيات عديدة، كل مشية في حد ذاتها رسالة يقرأها ويفسرها من ينظر إليه منها:

أ) مشية اللين:

قد يمشي الإنسان مشية لينة هينة، وذلك إذا كان مهموما، أو محزوناً، أو مهزوما، أو ضعيفاً بدنيا أو نفسياً، أو لأنه من أصحاب الوقار والتواضع، فلا يختال في مشيته ولا يتكبر، تواضعاً لله، ورحمة بالناس. وهذا المعنى نجده في عدة آيات.

قال الله تعالى: ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ (الفرقان:٦٣)، قال الزمخشري: (هونا حال أو صفة للمشي بمعنى هينين، أو مشيا هينا، والهون: الرفق واللين، والمعنى: أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع)[٦٢].

وقوله تعالى: ﴿ وأقصد في مشيك﴾ (لقمان:١٩)، قال الزمخشري: (وأعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين: لا تدب دبيب المتماوتين، وتثب وثيب الشطار)[٦٣].

ب) مشية الحياء:

قد تكون المشية إيماءة إلى الحياء أو الخجل، كما حكى الله سبحانه عن ابنة شعيب فقال: ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾ (القصص:٢٥)، قال الزمخشري[٦٤]: (في موضع الحال) مستحية متخفرة، وقيل: قد استترت بكم درعها[٦٥].

ج) مشية الخيلاء:

هي مشية الجبابرة والمتكبرين والمغطرسين الذين يستصغرون من حولهم، ويحتقرونهم، قال الله تعالى: ﴿ ولا تمشي في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ (الإسراء:٣٧).

فقد تضمنت هذه الآية نهياً عن المشية التي فيها مرح وتكبر، ووصفت هذه المشية بأنها في تطاول وتعال، وفيها دك للأرض، قال الزمخشري: (لن تجعل فيها خرقاً بدوسك لها وشدة وطأتك بتطاولك، وهو تهكم بالمختال) وقال أيضاً (ولا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا)[٦٦]، وقد تكون هذه المشية لإغاضة المتعالين والمتكبرين، وهذه المشية محمودة، ولا إثم فيها، وقد فعلها أبو دجانة في غزوة أحد، إذ وضع عصابته الحمراء، وأخذ يتبختر في مشيته أمام الأعداء، فاستهجنها الصحابة –رضوان الله عليهم–، وأخبروا الرسول –صلى الله عليه وسلم– فقال: إن الله يبغض هذه المشية إلا في هذا الموطن. وقد يمشي هذه المشية الواثقون من أنفسهم الذين يريدون أن يثبتوا لغيرهم أنهم ليسوا أقل منهم مكانة وقيمة.

وتمثل هذه المشية حركة جسمية تدل على التطاول والتكبر على عباد الله، وهناك آيات أخرى تحمل نفس هذه الدلالات[٦٧].

وهناك في النص القرآني مواضع بألفاظ غير لفظة المشي منها الألفاظ السير والإيضاع والسرى والطواف، وكلها تعتبر من أشكال المشي وتمثل هيئات جسمية تحمل دلالات معينة تناسب ورودها في الآيات، لا يسع المقام ذكرها، يمكن الرجوع إليها.

فنجد الحركة الجسمية الواردة في الآيات والمتمثلة في السير، كلها تحمل دلالة واحدة وهي دلالة النظر والاعتبار[٦٨].

أما الحركة الجسمية الواردة في الآيات والمتمثلة في الإيضاع وهو نوع من السير السريع، بين القوم بالنميمة والبغضاء والفتنة، ولقد تجلت البلاغة القرآنية بأبهى صورها لتوصل للحس أقوى درجات التأثير وأعمقه[٦٩].

وأما الحركة الجسمية الواردة في ست آيات والمتمثلة في السرى[٧٠]، والتي تعني سير عامة الليل لا بعضه، ويكون أول الليل و أوسطه وآخره وهي تمثل نوعاً من أنواع المشي أو السير ذي الدلالة الخاصة[٧١].

وأيضاً الحركة الجسمية الواردة في أربع عشرة آية والمتمثلة في الطواف[٧٢]، وهي الدوران حول شيء معين.

إن هذه الهيئة الجسمية تحمل في طياتها دلالة الحركة الدؤوبة المرافقة لفعل معين يقصده صاحب هذه الحركة، فتارة تكون حركة تعبدية، وتارة تكون حركة للخدمة تلبية الحاجة، وتارة تكون حركة تدل على حالة الضياع والتخبط من قبل صاحبها، وكل هذه الدلالات وغيرها يكون فيها بذل جهد معين وبشكل من أشكال المشي يتناسب مع الحالة المقصودة.

٥) هيئة الجري:

إيماءة توحي باللهفة والشوق لمعرفة القادم، وهي سلوك حركي، وقد تضمن النص القرآني أشكالاً عدة لهذه الحركة الجسمية منها الاستباق، والإدبار، والفرار والهرب والركض، والهرع، ونكتفي بإحداها ونورد أسماء السور ورقم بقية الألفاظ فقط كون المقام لا يسع ذكرها.

فنجد هيئة الجري تتمثل في الاستباق على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُر.. ﴾ (يوسف:٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا.. ﴾ (يوسف:١٧)، في قصة يوسف نجد في الآية الأولى، يوسف وامرأة العزيز، فيوسف يريد الفرار من موقف لا يرغب فيه، وامرأة العزيز تريد أن تمنعه من الخروج لتحقق ما أضمرته وعزمت عليه. إذن حملت الآية معنيين مختلفين لإيماءة واحدة، اختلفتا باختلاف النية والقصد، وحدد ذلك السياق، قال تعالى: ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُر﴾ (يوسف:٢٥)، فلم تصل إلا إلى دبر القميص فقدته أي قطعته طولا[٧٣].

وفي الآية الثانية : قال ابن عاشور: (والاستباق أفعال من السبق وهو هنا بمعنى التسابق، والمراد الاستباق بالجري على الأرجل، وذلك من مرح الشباب ولعبهم)[٧٤].

نجد من خلال الهيئة الجسمية الواردة في الآيات والمتمثلة في الاستباق ففي الآية الأولى تحمل دلالة الإسراع من أجل الهروب من قبل يوسف عليه السلام، والإسراع من أجل اللحاق به من قبل زوجة العزيز، وفي الآية الثانية تحمل دلالة إسراع من أجل اللهو أو المرح أو التدريب.

وخلاصة القول: فالاستقبال هنا يمثل هيئة جسمية معينة ذات دلالة تتناسب مع سياق الآية التي ورد فيها. كدلالة الإسراع في فعل الخير (في سورة البقرة الآية:١٤٨).

وهناك في النص القرآني أشكال عدة لهذه الحركة الجسمية، تمثل هيئات جسمية تحمل دلالات معينة تناسب ورودها في الآيات، لا يسع المقام ذكرها يمكن الرجوع إليها.

فمثلاً الحركة الجسمية الواردة في الآيات المتمثلة في (تولية الدبر) [٧٥]. يحمل دلالة الهرب الذي يرافقه الخوف، وهي توليه الدبر، ليترك هذا التعبير تأثيراً عميقاً في نفس السامع كما لو أنه صورة متحركة بأدية أمام ناظريه. كقوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر:٤٥).

والحركة الجسمية الواردة في الآيات المتمثلة في (الفرار والهرب) كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ (عبس:٣٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ (الجن:١٢).

في الآية الأولى تدل على اشتغال المرء بنفسه، والثانية تدل على الهرب. فالفرار بدلالاته المتعددة كلها لتدل على الهرب(٧٦).

أما الحركة الجسمية الواردة في الآية المتمثلة في (الركض) كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ (الأنبياء:١٢). إن هذه الحركة الجسمية تدل على الفرار والهروب أيضاً.

وأخيراً الحركة الجسمية الواردة في الآيات المتمثلة في (الهرع) كقوله تعالى: ﴿ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ (الصافات:٧٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ (هود:٧٨).

فالهرع في الآيتين يحمل دلالة الإسراع، مع الاختلاف فيما يسرع إليه ومن يقوم بهذه الحركة الجسمية، ففي الآية الأولى كان الإسراع من باب التقليد الأعمى للآباء والأجداد، وأما الآية الثانية يكون الإسراع إلى الحصول على شيء أو من أجل تحقيق شيء.

وخلاصة القول: إن الحركة الجسمية تدل على الإسراع في سلوك سبيل معين، سواء أكان على الحقيقة كما في الآية الثانية أم على المجاز كما في الآية الأولى.

٦) هيئة الخشوع:

ويعبر عنها بخر الأذقان، ومنه قوله تعالى: ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ﴾ (الإسراء:١٠٧)، وقوله تعالى: ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ (الإسراء:١٠٩)، ومعنى (خر) سقط سقوطاً يسمع منه خرير ولعل استعمال (الخر) في الآية تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصوت منهم بالبكاء خشوعاً. وقد جعل الزركشي الأذقان في الآية من إطلاق اسم الجزء على الكل، فالأذقان عنده الوجوه(٧٧).

٧) هيئة الضيق:

ويعبر عنها بتصعد الصدر، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ (الأنعام:١٢٥).

٨) هيئة التأبي:

ويعبر عنها بشد الرأس إلى خلف. وهو هنا التأبي عن الانقياد للحق، والغفلة عن الإنذار. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ (ياسين:٨).

المقمح الشامخ بأنفه المنكس رأسه(٧٨).

٩) هيئة التكبر:

ويعبر عنها بسلوكيات حركية عدة منها: إبعاد الجانب أو ثنية، أو مد الظهر. من ذلك قوله تعالى: ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه ﴾ (الإسراء:٨٣) قال أبو عبيده (نأي بجانبه) أي تباعد بناصيته وقربه[٧٩].

ومنها قوله تعالى أيضاً: ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفة ليضل عن سبيل الله﴾ (الحج:٨-٩). قال أبو عبيده: (ثاني عطفه) يقال جاءني فلان ثاني عطفه أي: يتبختر من التكبر[٨٠].

ومن مد الظهر تبختراً قوله تعالى: ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ (القيامة:٣٣)، وقال القراء: يتمطى: يتبختر، لأن الظهر هو المطا، فيلوى ظهره تبخترا، وهذه خاصة في أي جهل[٨١].

وقد يدل على هذه الهيئة أيضاً بتصعير الخد، وقد نهى عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحا﴾ (لقمان:١٨)، وقد سبق أن تحدثنا عنها في حركة الوجه وحركة المشي.

فالصعر : ميل في العنق، والتصعير: إمالته عن النظر كبراً[٨٢].

١٠) هيئة التغيير:

ويعبر عنها بتقييد اليد إلى العنق. وقد نهى عن التغيير، في قوله تعالى: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ (الإسراء: ٢٩)، أي لا تمسك عما ينبغي لك أن تبذل من الحق، وهو مثل وتشبيه[٨٣].

١١) هيئة الإهمال:

ويعبر عنها بنبذ الشيء وراء الظهر. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾ (البقرة:١٠١)، وقوله: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ (آل عمران:١٨٧)، وقوله تعالى: ﴿ واتخذتموه وراءكم ظهريا﴾ (هود: ٩٢)، مجازه: ألقيتموه خلف ظهوركم فلم تلتفتوا إليه. ويقال للذي لا يقضي حاجتك ولا يلتفت إليها (ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهرية أي خلف ظهرك[٨٤].

الخاتمة:

مما سبق نستنتج - بوجه عام – أن السلوكيات للصورة الحركية بأنواعها وفروعها المختلفة، قد لعبت دوراً كبيراً في إنتاج المعنى على نحو غير مباشر، مما يناسب الطبيعة الجمالية والفنية للنصوص المكتوبة المحللة. وتستطيع تلك التحليلات في الدراسة.

وقد استوعبت أهم الحالات والنماذج – أن تقدم بعض ا لمعطيات والنتائج ذات الاعتبار لنظرية السلوك الحركي بخاصة، ولنظرية الاتصال بوجه عام، ونقدمها - في إيجاز - على النحو التالي:

١- بنية تحليل السلوكيات الحركية بأنواعها الرئيسية الأربعة إلى ضرورة تأمل علاقتها بالسلوكيات الكلامية في إنتاج الدلالة في النص المكتوب من ناحية، وتأمل آثارها المنفردة القوية في إنتاج الدلالة التصويرية بخاصة من ناحية أخرى. وينبغي ألا ينتهي تحليل النص عند اكتشاف أنماطه وأبنيته اللغوية المجردة، بل ينبغي أن يؤخذ في الحسبان دائماً الأحوال الشاهدة وما تزود به بنية النص لفظياً من وصف تلك الأحوال، كتعبيرات الوجه، وطبقة النظرة، واتجاه الحركة، والمسافة بين المتخاطبين ونحو ذلك، مما يقدم مفاتيح جديدة للفهم والتفسير، إذ تتغير المعاني والدلالات بتغير العضو وشكل الحركة.

٢- حرص النص القرآني على تنويع طرق إيصال المعاني للسامع من خلال تعدد أنماط الصور الحركية للجسم، حيث يمكن تقسيمها في ضوء نظرية الاتصال إلى أربعة أنماط رئيسية: أولها: تعبيرات الوجه، وثانيها: تعبيرات العيون، وثالثها: الإشارات والحركات الجسمية، ورابعها: الهيئات وأوضاع الجسم، حيث يسهم كل عضو من الأعضاء المذكورة بدرجة ما في تكوين المظهر الكلي للعضو، والذي بدوره يشكل أداة لإيصال الأفكار للآخرين.

٣- تبدو العلاقة بين السلوك الكلامي والسلوك الحركي في أكثر الحالات، علاقة تكافلية، فأحدهما يحيا من خلال الآخر، وربما كانت علاقة استدراكية في بعض الحالات، حينما يصبح السلوك الحركي بديلاً اتصالياً – في وقائع بعينها – عن السلوك الكلامي الخالص.

٤- تتفاوت معظم السلوكيات الحركية فيما بينها في درجة التداولية والطرافة. وإذا كانت تعبيرات الوجه والعينين من ناحية والإشارات والحركات الجسمية البسيطة من ناحية أخرى، فهي الأكثر تداولاً ومصاحبة للكلام، فإن منها ما هو أكثر طرافة من غيره، كحركة تقليب اليدين علامة على الندم والحسرة، كقوله تعالى: ﴿ وأحيط بثمرة فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها﴾ (الكهف: ٤٢)، فإن من عظمت حسرته يصفق إحدى يديه على الأخرى، وقد يمسح إحداهما على الأخرى. واليدان أداة العمل والمزاولة. ولعل أهم مقاييس الطرافة – إن لم يكن أهمها إطلاقاً – بعد الحركة نسبياً عن المباشرة والآلية، مما يمنح الخيال فسحة التصور: فتقليب اليدين أو مسحهما يجعلنا نتصور إنساناً فرغ لتوه من طعام أو عمل تلبسه، وأراد أن يخلص يديه مما علق بهما من آثار، بأن يتعهدهما بالمسح – وهي- من ثم حركة مخيلة.

٥- تعدد وظائف السلوكيات الحركية في العملية التواصلية بين البشر فهي تلعب دوراً كبيراً في التأثير في الآخرين وإيصال الأفكار إليهم، بحيث تختصر الجهد، فتوظيف حاسة البصر في دعم حاسة السمع، من شأنه أن يسرع من عملية فهم واستقبال المعلومات والأفكار من قبل البشر.

٦- ورد في النص القرآني سلوكيات حركية تختص بجنس دون الآخر، ومما أختصت به المرأة، صحك الوجه، أو صك النحر، على ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ (الذاريات:٢٩).

٧- استقبح النص القرآني سلوكيات حركية بعينها والتي تؤذي الآخرين في مشاعرهم كثني الصدور استخفاء والغمز واللمز، وغيرها من الحركات الجسمية.

٨- تؤكد التحليلات السابقة حقيقة جوهرية في بحث السلوكيات الحركية، هي أن تلك السلوكيات تستخدم – في حالات كثيرة – لا سيما في الوقائع الاتصالية المباشرة، أي المنظورة تفاعلياً بين المتكلم والمخاطب – تستخدم بديلاً بصرياً عن العلامات اللغوية السمعية – في مثل تلك الحالات، يغلب أن يكون استخدام الاتصال اللفظي مبدوءاً به من طرف المرسل، وأن يكون رد الفعل الاتصالي السلوكي الحركي من طرف المستقبل، وفضلاً عما رأينا من حالات سابقة لتوضيح هذا الموقف الاتصالي البسيط كقوله تعالى: ﴿ وأقصد في مشيك﴾ (لقمان:١٩)، وقوله: ﴿ ولا تمش في الأرض مرحا﴾ (الإسراء:٣٧).

٩- إن الحركات السلوكية لا تقل أهمية عن اللغة المنطوقة، ولذلك لا ينبغي الاستغناء عنها أو تجاهلها أو إهمالها، أو التقليل من أهميتها. فهذه الحركات السلوكية الجسمية، والتي زخر بها النص القرآني استعملها كوسائل للتبليغ والاتصال، وإدراك كبير لفهمها فهما صحيحاً بعيداً عن التأويلات الخاطئة والتفسيرات العشوائية، ومع اللغة المنطوقة تجدهما متعانقين في النص القرآني، لا تنفك إحداهما عن الآخرى، بل تتزاحمان لتؤديا رسالة واحدة إلى المخاطب بأسلوب سهل وسلس.

وبالأخير ما ذكرته من الحركات السلوكية الجسمية هو غيض من فيض، وقطرة من بحر مما هو في النص القرآني من الحركات الجسمية، فقد تجاوزت الكثير منها وأشرت إليها باسم السورة ورقمها للاختصار.

وأخيراً أرجو من القارئ الكريم أن يتسع صدره لزلاتي أو هفواتي، فما قصدت إلا الصواب، وقد بذلت جهدي ليكون عملي صادقاً ومخلصاً لرب العالمين، بأن لا يحرمني الأجر في الدنيا والآخرة.

الهوامش

(١) ينظر : أنيس ،إبراهيم : دلالة الألفاظ صـــ٩٦،٩٧

(٢) ينظر : جمعة ،سيد يوسف :سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ،عالم المعرفة صـــ٣١.

(٣) ينظر : باكونتالي ،لغة الحركات ،ترجمة سمير شيخاني ،ط١ ،دار الجليل ،بيروت صـــ١٩

(٤) ينظر:صابر سامية، الاتصال الجماهيري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٧٥-٧٦.

(٥) ينظر: نضال أبو عياش: الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق، ٢٠٠٥م، ص١١٩.

(٦) ينظر: المصدر، صفحات النت لعدد من الباحثين منهم د.صلاح الخالدي بعنوان الطائفة القرآنية.

(٧) ينظر: ابن جني، الخصائص، ١٢/٢٤٥-٢٤٦.

(٨) ينظر: للجاحظ البيان والتبيان، ١٢/٥٥.

(٩) ينظر: الترمذي، رقم ١٩٥٦، ٤/٣٣٩.

(١٠) ينظر: ابن جني الخصائص، ١/٢٤٥، والمتقاعس الذي يخرج صدره ويدخل ظهره، وتلك هيئة من يطحن بالرحى.

(١١) ينظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٢مج، ص٥٤٦.

(١٢) انظر القرطبي، محمد بن أحمد (ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبدالرزاق المهدي، د.ط، بيروت، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م، ١٤٢١/١٤هـ.

(١٣) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٣٥٦/١٤، ٣٩٣/٤.

(١٤) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ١٧٣/١٧.

(١٥) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ١٤٤/١٠.

(١٦) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ٤٣٢/٨.

(١٧) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٥١٣.

(١٨) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٧/٢٩.

(١٩) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ص٢٥٦.

(٢٠) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ١٩٣/٣.

(٢١) ينظر: أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي، مجاز القرآن، مكتبة الخانجي، بمصر، د.ت، ٢٠١/٢.

(٢٢) ينظر: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط٥، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٣م، ٦٢٠/٤.

(٢٣) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٢٧/١٣.

(٢٤) ينظر: المفردات، ص٣٠٢.

(٢٥) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ١٨٥/١٦.

(٢٦) ينظر: الألوسي، روح المعاني، بيروت، ٦٧/٢٦.

(٢٧) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٨٨/٥.

(٢٨) ينظر: المفردات، ص٥٤٦، ص٤٥٤.

(٢٩) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٧٢/٣٠.

(٣٠) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٩٧/٥.

(٣١) ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ١٠٨/٦.

(٣٢) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٣٧٦/١.

(٣٣) ينظر: الإتقان، ١١٧/١، ابن منظور، لسان العرب، ٤٥٦/١٠.

(٣٤) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ١٠٩/٢١، وانظر أيضاً المفردات، ص٦٢١، وانظر التنوير، ٧٢/١٥.

(٣٥) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ١٤٤/١٩.

(٣٦) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٤٥/١١.

(٣٧) ينظر: الزمخشري، ٤٤٥/٣.

(٣٨) ينظر: ابن كثير، ٤٩٤/٢.

(٣٩) ينظر: تفسير الشعراوي، ٧٠٧٧/١٢.

(٤٠) انظر الإتصاف بحاشية الكشاف، ٩١/١.

(٤١) ينظر: تفسير الكشاف، ٦٠٤/٤.

(٤٢) تفسير الكشاف، ١٢٢/٢.

(٤٣) ابن منظور، لسان العرب، ٢٤١/٦.

(٤٤) المصدر نفسه، ٢٦٣/١٥.

(٤٥) انظر الماوردي، لسان العرب، ٢٣٨/٧.

(٤٦) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٨/٧.

(٤٧) انظر المفردات، ص٦٢١.

(٤٨) ينظر: العبارة والإشارة، د. محمد العبد، مكتبة الآداب، مصر، ص١٧٤.

(٤٩) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ١١٢/١٩، وانظر الطبري، جامع البيان، ٣٢/١٧.

(٥٠) المفردات، ص٢٤١.

(٥١) فتح القدير، ٣٥٤/١-٣٥٥.

(٥٢) المفردات، ص٤٥٧.

(٥٣) فتح القدير، ٣٨٩/١.

(٥٤) ابن منظور، لسان العرب، ٢٦٥/١١.

(٥٥) متن البخاري، ١٤١/٣.

(٥٦) المفردات، ص٥٤٨.

(٥٧) أرجع إلى المعجم المفهرس، لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد، ت ١٣٨٨هـ، ط٢، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠١م، ص٦٥٧. وهذه السور هي: (آل عمران، ١٦٨، ١٩١)، (النساء، ٩٥، ١٠١، ١٠٤)، (الأنعام، ٦٨)، (الأعراف، ١٦، ٨٦)، (التوبة، ٥، ٤٦، ٨٣، ٨٦، ٩٠)، (يونس: ١٢)، (الإسراء: ٢٢، ٢٩)، (ق، ١٧)، (الجن،٩)، (البروج،٦).

(٥٨) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٧/٣٢.

(٥٩) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٤٦/٢٠.

(٦٠) ابن منظور، لسان العرب، ٢١٨/٨.

(٦١) الآيات الثلاث الأخرى هي السور الآتية: (آل عمران، ١٩١)، (النساء، ١٠٣)، (يونس، ١٢).

(٦٢) تفسير الكشاف، ٢٨٣/٣.

(٦٣) المصدر نفسه، ص٢٨٣/٣.

(٦٤) تفسير الكشاف، ٣٨٨/٣.

(٦٥) الخفر بالتحريك، شدة الحياء، انظر لسان العرب لابن منظور، ٢٥٣/٤.

(٦٦) تفسير الكشاف، ٦٤١/٢، ٢٨٣/٣.

(٦٧) فقد جاء في الآيات ذكر المشي باللفظ نفسه، وتعتبر من أشكال المشي، وتمثل هيئات جسمية تحمل دلالات معينة تناسب ورودها في الآيات منها في السور الآتية (البقرة،٢٠)، (الأنعام، ١٢٢) ، (طه، ١٢٨)، (النور، ٤٥)، (الفرقان، ٧، ٢٠)، (السجدة، ٢٦)، (الحديد، ٢٨)، (الملك، ١٥)، (القلم، ١١).

(٦٨) السور التي وردت فيها لفظة السير السور الآتية (آل عمران، ١٣٧)، (النحل، ٣٦)، (الحج،٤٦).

(٦٩) السور التي ورد فيها لفظة الإيضاح هي سورة (التوبة، ٤٧).

(٧٠) السور التي ورد فيها لفظة السرى، السور الآتية (هود، ٨١)، (الحجر، ٦٥)، (الإسراء،١)، (طه،٧٧)، (الشعراء، ٥٢)، (الدخان، ٢٣).

(٧١) الزبيدي، تاج العروس، ٢٦١/٣٨.

(٧٢) السور التي وردت فيها لفظة الطواف السور الآتية (البقرة، ١٢٥، ١٥٨)، (الأعراف، ٢٠١)، (الحج، ٢٢، ٢٩)، (النور، ٥٨)، (الصافات، ٤٥)، (الزخرف، ٧١)، (الطور، ٢٤٠)، (الرحمن، ٤٤)، (الواقعة، ١٧)، (القلم، ١٩)، (الإنسان، ١٥، ١٩)، انظر المعجم المفهرس، عبدالباقي، ص٥٣٠.

(٧٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ٩٨/١٨.

(٧٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٥/١٢.

(٧٥) السور التي وردت فيها هيئة جسمية تتمثل في (تولية الدبر) السور الآتية (آل عمران، ١١١)، (النمل، ١٠)، (القمر، ٤٥).

(٧٦) وهناك أيضاً سور وردت في هذه الحركة المتمثلة في (الفرار والهروب)، السور الآتية (الأحزاب، ١٦)، (الذاريات، ٥٠).

(٧٧) البرهان، ٢٦٦/٢.

(٧٨) مجاز القرآن ، ١٣٠/١.

(٧٩) مجاز القرآن، ٣٨٩/١.

(٨٠) المصدر نفسه، ٤٥/٢.

(٨١) معاني القرآن، ٢١٢/٣.

(٨٢) المفردات، ص٢٨١.

(٨٣) مجاز القرآن، ٣٧٥/١.

(٨٤) ينظر: مجاز القرآن، ٢٩٨/١، الكامل، ١٥/١، المفردات، ص٨١٧، فتح القدير، ١١٩/١.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

١- ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٢- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ٢٠٠٠م.

٣- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي: البحر المرير في تفسير القرآن المجيد، ٨مج، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

٤- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (إسماعيل بن عمر): تفسير القرآن العظيم، ٨مج، تحقيق: محمود حسن، الطبعة الجديدة، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م.

٥- ابن منظور، محمد: لسان العرب، ١٥مج، ط١، بيروت، دار صادر.

٦- أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط٥، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٣م.

٧- أبو عبيده (محمد بن المثنى التيمي): مجاز القرآن، عارضة بأصوله وعلق عليه دكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بمصر، د.ت.

٨- أبو عياش، نضال: الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق، ط١، فلسطين، الناشر، كلية فلسطين التقنية، العروب، ٢٠٠٥م.

٩- أحمد، محمد الأمين موسى، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، ١مج، ط١، الشارقة، دار الثقافة والإعلام، ٢٠٠٣م.

١٠- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، ١٥مج، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

١١- الألوسي، أبو الفضل محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٣٠ مج، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٢- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر البيان والتبيين، ١مج، تحقيق: فوزي عطوى، ط١، بيروت: دار صعب.
١٣- الجوهري: إسماعيل بن حماد: الصحاح، ٦مج، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.
١٤- الخطيب، عبدالكريم: التفسير القرآني للقرآن، بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت.
١٥- الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، ١مج، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
١٦- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن، ٢مج، دمشق، دار القلم، د.ط.
١٧- راغب، نبيل: لغة التعبير بالجسد، ١مج، د.ط، بيروت، دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.
١٨- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبدالله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢م.
١٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، د.ط، د.ت، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٢٠- شحرور، ليلي: أسرار لغة الجسد، ١مج، ط١، بيروت، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ٢٠٠٧م.
٢١- عبدالباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٢، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠١م.
٢٢- عبدالله، عودة: الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن والسنة، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، عدد١١٢، ٢٠٠٤م.
٢٣- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ١مج، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣م.
٢٤- كلينتون، بيتر: لغة الجسد، ط١، ترجمة دار الفاروق، مصر، دار الفاروق، ٢٠٠٥م.
٢٥- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب: تفسير الماوردي (النكت والعيون)، ٦مج، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
٢٦- محمد العبد (دكتور): العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٤، ٢٠١٠م.